

حجاجية الاستعارة الناعمة في رواية ليالي إيزيس كوبيا لواسيني الأعرج أنموذجاً

The argumentation of soft metaphor in the famous novel Nights of Isis Copia as an example

لمياء قروجي*⁽¹⁾

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة باجي مختار – عنابة، (الجزائر)

lamisguerrouddji@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/21

تاريخ القبول: 2024/06/29

تاريخ الإرسال: 2022/08/31

الملخص:

لا يختلف اثنان في أننا نعيش عصر الاستعارات التصويرية بامتياز ، فبها نحيا ، وفي كنفها نعيش وإلى بنيتها المجازية نميل في كلامنا العادي لقد باتت عصب الحياة ، ولدغتها القاتلة في الوقت ذاته . ولقد أسهم الدرس العرفاني في إبراز هذه المكانة المركزية للاستعارة ، وبين أنها لم تعد مجرد زخرف لفظي وإنما استحالت إلى أداة مفاهيمية ، فكرية للتأثير ، و الإقناع ؛ فالاستعارة لا تسهم في فهم المعنى ، وتفسير الواقع من حولنا وإنما تتجاوز ذلك إلى إعادة تشكيل هذا الواقع ، وبلورته في صورة جديدة وذلك لما لها من كثافة دلالية ، و طاقة حجاجية ، وقوة إقناعية كافية لإحداث التغيير ، سواء أكانت قاتلة كما أثبت لايكوف في كتابه " الاستعارات التي تقتل " ، أم ناعمة كما سنحاول الكشف عنه في رواية " ليالي إيزيس كوبيا ثلاثمئة ليلة وليلة في جحيم العصفورية " للكاتب الجزائري " واسيني الأعرج .

الكلمات المفتاحية: الاستعارة التصويرية ، الرواية ، الحجاج ، الحرب الناعمة .

* لمياء قروجي طالبة دكتوراه علوم

The argumentation of soft metaphor

in the famous novel Nights of Isis Copia as an example

Abstract

No one disagrees that we live in era of conceptual ,metaphors , in which we live , and to it is ,metaphorical structure we tend in our ordinary speech, it become the backbone of life and it is fatal sting . The cognitive perspective has played a mayor role in highlighting this central position of metaphor , it is no longer an improvement tool but rather a conceptual mechanism for persuasion and influence as it contributes to reframing reality anew because of it is intensity argumentative , whether the metaphor is deadly or soft , which we will try to reveal inr novel of waciny elaaredj Nights of Isis Copia .

Key words conceptual metaphor ; novel ; argumentation ; soft war

مقدمة :

لقد أحدث المنظور التفاعلي التجريبي ثورة فكرية في نظرية الاستعارة ، لاسيما بعد صدور كتاب " الاستعارات التي نحيا بها " **The Metaphors we live by** لكل من جورج لايفوف **George Lakoff** و مارك جونسون **Mark Johnson** ، الذي قاد إلى توجه فلسفي يقوم على أساس مفهوم التجسد أي الدور الأساسي للجسد في تشكيل كثير من رؤانا تصوراتنا¹ ، فقد أسهم هذا المنظور في إبراز المكانة المركزية للاستعارة ، وأكد أن النسق التصوري " الذي يسيّر تفكيرنا ، وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس " ² كما أوضح أن الاستعارة لم تعد مجرد محسن لفظي ، وآلية فنية جمالية ، وإنما استعالت إلى " أداة مفاهيمية ، ولغوية مهمة لإنجاز الإقناع " ³ فالاستعارة تعد استراتيجية ذات كفاءة حاجية عالية ؛ لأنها تؤثر في إدراك المتلقي وتمثلاته الذهنية للقضايا المجردة من حوله ، كما تسهم في تعديل الآراء ، وتغيير المواقف ، والقناعات ولقد كان لايفوف على وعي كامل بهذه الوظيفة الحاجية وهو ما دفعه لتأليف كتابه " الاستعارات التي تقتل " ، خاصة بعد أن لاحظ التأثير الكبير الذي أحدثته الاستعارات في العلاقات الدولية بعد أن تربعت على عرش الخطاب السياسي والإعلامي ، حيث مكّنت استعارة الحرب العادلة المؤسسة على خصائص الحكاية الخرافية { بطل ، وشرير ، وضحية وإنقاذ } الإدارة الأمريكية من صياغة خطاب أخلاقي ، إنساني بالدرجة الأولى ، وذلك عبر تغليفها بطابع ديني فبررت حروبها على أنها واجب مقدس يقتضي منها القضاء على قوى الشر التي تحاول نشر العنف ، والإرهاب على غرار القاعدة ، ونظام صدام حسين ، كما تمكنت بوساطة خطابها الأخلاقي من استمالة جنودها ، و الرأي العام الأمريكي ، وإقناعهم بأن غزوهم لأفغانستان ، والعراق وكل حروبها القادمة ضرورة لإنقاذ الإنسانية من قوى الشر ونصرة للمظلومين . كما أعادت هذه الاستعارة من جديد للمشاهد العالمي فكرة صراع الحضارات بين "محور الخير" ممثلاً في القوى المتقدمة ، و "محور الشر" الذي تمثله الدول العربية

أو الدّول " الإرهابيّة ، المارقة " في نظر الغرب ، وبهذا فقد أسهمت الاستعارة في تغيير خريطة العالم، وإحداث تعديل في سياسة توازن القوى . فالاستعارة باتت أداة ذات فاعلية يوظفها السياسي لتشكيل الرأي العام وفق رؤية جديدة تنسجم و القيم التي ينادي إليها ، والأكثر من هذا ، أصبحت الاستعارة آلية ضرورية لإجراء تعديلات جذرية في البنى السياسية ، والأيدولوجية ، و الأنساق الاجتماعية ، والفكرية المكونة للأمم .

هكذا تظهر بوضوح الوظيفة الحجاجيّة للاستعارة التّصورية ، وذلك عندما تتحوّل إلى أداة للإحياء تارة ، وللقتل والتّدمير تارة أخرى وقد برزت هذه الوظيفة الخطيرة للاستعارة كما بين لايفوف في كتابه " الاستعارات التي تقتل " عندما تحوّلت إلى وسيلة لغسل أدمغة الشعوب وتعليب العقول ، وتجهيل الرأي العام ، وتزييف الحقائق ، وأداة ناجعة لتسويق العدوان وتبرير الاحتلال ، وقلب المفاهيم وحبّته في ذلك حروب أمريكا ، وسياساتها الخارجيّة ، لاسيما بعد هجمات سبتمبر 2001 . غير أن الإشكالية التي يروم البحث الإجابة عنها ، هي كيف تجلت هذه الوظيفة الحجاجية للاستعارة التّصورية في الخطاب الأدبي عموما ، والروائي خصوصا ، وكيف تكون الاستعارة قاتلة وناعمة ي الوقت ذاته ؟.

1- الاستعارة التّصوريّة و الخطاب الأدبي :

إن الاستعارة حاضرة بقوة في فكرنا ، ونشاطنا وتجاربنا الإنسانيّة ، ولا غرو أن تسجّل بصمتها في الأدب لتعبّر لنا عن التّجارب الإنسانيّة بآليّة تخيليّة ، فالأدب قصّة كان أو رواية هو عبارة عن استعارة تمثيليّة لأفكارنا ورؤانا ، ومواقفنا ، وممارساتنا ، وفي هذا السّياق يرى فيلنر دور C/Fili Dur أن "الأدب يعدّ وسيلة من الوسائل التي ينقل من خلالها الكتّاب آراءهم، و أفكارهم ، ومشاعرهم باستخدام الاستعارات ، كما أنّهم يؤثّرون ، ويحركون عقول القراء ، ومشاعرهم"⁴ وفق هذه الرؤية تظهر لنا وظيفة الاستعارة التّصورية الحجاجيّة ، وهي محاولة التّأثير في القارئ ، وفي تصوّراته في مرحلة أولى وصولا إلى تغيير الواقع من حوله ، هذه الوظيفة التي تعد مظهرا من مظاهر انسجام الخطاب و اتساقه. غير أنّ الوظيفة الحجاجيّة لا تتحقّق إلا بتوافر الجانب الإبداعي في الاستعارة ، وكلما كانت الاستعارة في الخطاب الأدبي أكثر تعقيدا وانغلاقا ، كان تأثيرها أشدّ وقعا في نفس القارئ ، فالتّعقيد يجعلها تنفتح على مسارات تأويلية عدة وقيم شبكة استدلالية واسعة فتنشط الفكر أكثر ، وينفتح الذهن على آفاق أوسع من التّأويل ، وهو ما يجعل الاستعارة عنصر إغراء ، وغواية ، واستفزاز ضمن الخطاب الأدبي لا سبيل للتحرر منه إلا باستثارة المعرفة الموسوعية لدى القارئ ، فحضور الاستعارات التّصورية في الأدب رسالة ضمنية من الكاتب للقارئ بأنّ حصول الفهم ، والقبض على المعنى في النص الأدبي لا يتأتّى إلا عبر التحليل الموسوعي والكفاءة المعرفية التي تدخل ضمن المعرفة الخلفية للقارئ ، ولاشك أن التحليل وفق

الموسوعة يضع القارئ في عمق الحدث التواصلي ، ويمنح للنص انسجامه فوق منظور تحليل الخطاب الذي يمثلّه براون ويول ، فإنّ الخطاب يستمد انسجامه من فهم ، وتأويل المتلقي " ⁵ أما امبرتو إيكو Umberto Eco فيرى في الموسوعة " فرضية ضابطة يقرر المتلقي على أساسها ، وعند تأويل نص ما ، أن يبني جزءا من موسوعة تسمح له بأن يعطي للنص ، أو للمرسل جملة من الإمكانيات الدلالية " ⁶ ، وهو ما يؤدي إلى تنشيط عملية التفاعل المتبادلة بين النص و المتلقي أثناء التأويل .

2 - حاجيّة استعارة الحرب التّصوريّة :

تظهر حاجيّة الاستعارة ، من خلال قوّتها في تحديد الواقع ؛ فهي بوساطة شبكة من الاقتضاءات تقوم بتبئير بعض سمات الواقع ، وتخفي سمات أخرى ، وهو ما " يؤدي بنا إلى قبول الاستعارة التي تجربنا على التّركيز فقط على مظاهر تجربتنا التي تضيئها إلى اعتبار اقتضاءات الاستعارة صادقة ، وهذا الصّدق لا يكون صادقا بالطبع إلا باعتبار الواقع الذي تحدده الاستعارة " ⁷ . كما ترتبط حاجيّة الاستعارة التّصورية بنوعية المجالات المصدر التي يتم استدعاؤها فنجد مثلا مجال الرّحلة ، ومجال التّجارة ، ومجال الطّبيعة ، ومجال الحرب ، فمثلا لهذا المجال الأخير قوة تأثير كبيرة فهو - في نظري - يعد من أكثر المجالات حضورا في التّصور الذهني الاستعاري المشكّل للتّجارب الإنسانية إذ إن استعارة الحرب " واسعة المنظور تنطبق تقليديا على مجموعة شديدة الاتساع من الخبرات " ⁸ ، فلهذه الاستعارة تأثير كبير في معجم الممارسة الاجتماعية التّصورية ، حيث تم فيها استغلال الحرب كمجال مصدر لبنينة عدة مفاهيم كالفقر والمخدرات ، والأمية ، حتى مجال الرياضة لم يسلم من هذا المجال ، وهو ما لاحظناه مؤخّرا في كأس أم إفريقيا في الكامرون ، فما انفكّ رئيس الاتحاد الكامروني " صاموئيل إيتو " يردّد كلمة الحرب على مسامع الفريق الكامروني ليهيئهم لمباراة نصف النّهائي ضدّ مصر ، وفق استعارة تصوّرية " المباراة ، حرب " وقد خلف خطابه هذا استنكارا عالميا ، وأشعل مواقع التّواصل الاجتماعي الرّافضة لهذا الخطاب التّحريضي الذي سيّشن أذهان اللاعبين ، وأنصارهم بمشاعر الكره ، والعنف ضد الفريق الخصم ، وأنصاره ، وهو ما قد يؤدي لاحقا إلى ما لا يحمد عقباه ، ولعلّ قوة تأثير هذا المجال راجع إلى أنّه يتضمّن خطابا صراغيا ، صداميا ، ما يدفعنا إلى أن ننخرط في فضاء الحرب بكل قوّته التّدميرية ، وهو ما جعلها تقابل بالرّفص ، والمعارضة مقارنة بمجالات أخرى تلقى قبولا في التّصورات الدّهنية للنّاس ولا تحمل طابعا صداميا كاستعارة الرّحلة مثلا وأبرز مثال على ذلك وباء كورونا الذي ترسّخ في تصور النّاس على أنّه عدوّ خفي بعد استدعاء مجال الحرب على لسان قادة الدول في جميع أنحاء العالم ، لوعيمهم الكبير بالطاقة الحجاجيّة لاستعارة الحرب ، فحاولوا استثمارها على قدر المستطاع ، وأسهموا بخطابهم الاستعاري هذا في زرع الرّعب في نفوس النّاس لتسويغ إجراءات

القمع وكبح الحريات على المستوى الداخلي ، وإحداث تغيير في سياسات توازن القوى .

لقد أضفت استعارة الحرب على الحالة الوبائية التي يعيشها العالم ظلال الحرب ، واستدعت جميع مخرجاتها فقيدت الحريات ، وانتهكت حقوق الإنسان ، و لا شك أن لجوء رجال السياسة إلى هذه الاستعارة لم يكن اعتباطيا ، بل لأنهم يدركون جيدا قوتها التأثيرية في الذهن وهو الأمر الذي دعا حكام العالم لتوظيفها في خراجاتهم الإعلامية ، وخطاباتهم السياسية تشديدا على خطورة الوضع .

إن استعارة الحرب ضد الفيروس مشحونة بطاقة حجاجية كافية ، و التوظيف الاستعاري لها لمواجهة وباء كورونا له تأثيرات قوية على التمثيلات الذهنية قصيرة المدى التي سيكونها المتلقي عن هذا الوباء ، ويجعله يتفاعل مع هذا الفيروس على أنه عابر للمجالات **Cross domain mapping** . وتندرج ضمن استعارة " الوباء ، حرب " استعارة صغرى " الإعلام ، حرب " فالإعلام بمختلف وسائله المرئية والمسموعة ، والمقروءة حشد الصحف وشبكات التواصل الاجتماعي وقام بتجيشها لزرع الرعب في الرأي العام العالمي لحمله على الإذعان لما يطرح عليه ، وبهذا فوسائل الإعلام تعدّ أسلحة فتاكة لإدارة الأزمات ، و توجيه الرأي العام والتأثير في نفسيته عبر بث روح التشاؤم ، ومشاعر الخوف المستمر من " البعبع " كورونا و نشر الإشاعات و المعلومات المغلوطة و زرع الفوضى الخلاقة.

لا شك في أنّ الحرب الإعلامية تعد من أخطر أنواع الحروب ، وأشدّها فتكا نظرا لطاقتها الحجاجية ، وقوة تأثيرها في نفس المتلقي ووعيه ؛ لأنها تعمل على زعزعة توقّعاته ، ومعتقداته ، وتغيير قناعاته ، وتضع مكانها قيما أخرى كما ترسخ في عقله رؤية جديدة للواقع من حوله ؛ فقد استطاع الإعلام تصوير الحرب على الوباء على أنها حرب كونية ثالثة غامضة المعالم وستكون أشدّ فتكا من الحروب النووية السابقة لأنها ستؤدّي إلى إبادة البشر وإنهاء الحياة على سطح الأرض . هكذا يعد الإعلام آلية ناجعة من آليات الحجاج و الإقناع، فمن يمتلك الإعلام ، يمتلك قوة التأثير على نحو ما نجده مع دولة قطر عبر قناة الجزيرة ، ولا ننسى كذلك الدور الخطير الذي يلعبه الإعلام الالكتروني عبر وسائطه التواصلية الفيسبوك ، والتويتر ، وغيرها ، حيث ساهمت جميعها في خلخلة التصورات الذهنية وبثّ الخوف و زجّت الذهن البشري قسرا وطوعا في حرب افتراضية كونية ضدّ هذا الوباء هي أشدّ ضررا من الحرب المادية غير أنّ الحرب بطابعها الصدامي ، وإجراءاتها التعسفية الخائفة لا تعمل وحدها كقوة مؤثرة نافذة في تشكيل تصورات الرأي العام ، وتغيير قناعاته ، و إنما هناك نوع آخر من الحروب يحمل طابعا تعاونيا ، ويطغى عليه الخطاب اللين ذو قوة جاذبة تجعل هذا الرأي ينجذب إلى ما يطرح عليه دون تهديد ، أو ترويع ، هذا النوع من الحروب يسمّى الحرب الناعمة التي تعمل فيها القيم والأخلاق والمبادئ عمل الدّعائم الحجاجية ، وهذه الاستعارة لا تستوحي مادتها من العالم المحسوس ، أو المشاهد العيني ، وإنما

تكون منطلقاتها " العناصر المستمدة من القيم ، والحقائق الدينية ، والخلقية ، تكون قائمة في أذهان المخاطبين ، ومسيطرة على عقولهم وموجهة لتفكيرهم ، توجيهها يكون باعته إما الدين ، أو العرق ، أو المعتقدات ، أو السلوكيات الاجتماعية " ⁹ فالقيم تكتسي قيمة حاجية عالية ، وهي حسب بيرلمان **Perleman** تعمل " على حمل بعض المجموعات الخاصة على الإذعان " ¹⁰ ولهذا فقد جعلها من أهم المنطلقات الحاجية التي تمنح الخطاب التأثير المطلوب فمن الصعب دحضها ، أو معارضتها وقد أدركت الدول الكبرى هذا الأمر ، ولهذا فقد راحت تشرعن تدخلاتها ، وتسوغ لعدوانها على الدول المستضعفة و التي تشكل تهديدا لمصالحها تحت غطاء قيمي ، أخلاقي وتاريخ الاستعمار قديمه ، وحديثه يؤكد كلامنا هذا ، فقد سوّق احتلاله للشعوب باسم نشر الحضارة ، و التحرير ، وحقوق الإنسان ، غير أنه كان في حقيقة الأمر يسعى لنهب ثرواتها ، وخيراتها وتعزيز قوته ، وهيمنته .

تبدو حجة القيم و المبادئ الإنسانية ، ملزمة جدا لدرجة أنه من الصعب إن لم نقل من المستحيل رفضها ، أو ردها لأنها تحظى باتفاق وقبول من الجميع ، فمن ينكر الدور الكبير الذي تلعبه قيم الخير ، والعدل ، والمساواة ، والحرية في بناء المجتمعات ، و رقيها . بلا شك أن هذه المفاهيم تشكل عناصر جذب للتأثير في الآخر ، وقد وظفتها الدول في علاقاتها الخارجية باعتبارها أهم عناصر القوة الناعمة لديها . ، أو القوة الذكية التي تحاول بوساطتها الدول السيطرة على العقول ، وقيادة العالم ، عبر التغلغل في وجدان الآخرين المراد التأثير فيهم ، وتشكيل الصور الذهنية في عقولهم ، وبهذا فالعالم اليوم يعيش حرب تصورات ، أو لنقل حرب استعارات تصورية ناعمة وكل دولة تحاول عبر مواردها الناعمة الترويج لجملة من الاستعارات التصورية .

لقد نعت جورج لاكوف في كتابه الاستعارات بأنها قاتلة ، لأنها تدمر الشعوب ، لكنها في نظري قبل أن تكون قاتلة هي استعارات ناعمة ، تجذب فريستها أولا لتتقض عليها ، و تقتلها ثانيا .

إن كل دولة تحاول عبر مواردها الناعمة الترويج لجملة من الاستعارات التصورية ، فمثلا أمريكا تحاول تعزيز نفوذها ، وتكريس هيمنتها على العالم عبر قوتها الناعمة " هوليود " ، وتركيا أيضا عبر صناعة الدراما ، قوتها الناعمة التي اخترقت بها الذهنية العربية والإسلامية وروجت من خلالها لاستعارتين تصويريتين ناعمتين ، هما : " تركيا ، الجمال " ، و " تركيا ، البطولة والخلافة الإسلامية المأمولة " من خلال المسلسلين التاريخيين اللذين حققا نجاحا منقطع النظير " قيامة أرطغرل " و " المؤسس عثمان " فلقد كان لهاتين الاستعارتين القوة الحاجية الكافية للنفاذ إلى البيت العربي ، والتأثير فيه أيما تأثير حيث باتت تركيا من أكثر الدول جذبا للسياح ، والاستثمارات وتضاعف ولع الناس ، وشغفهم بالثقافة التركية وعاداتها ، وتقاليدها ، بل و أكثر من هذا فقد انطبع في مخيلة الشعوب العربية والإسلامية أن

الرئيس التركي " أردوغان " هو خليفة المسلمين المنتظر الذي سيعيد لهم أمجاد الخلافة الإسلامية . فضلا عن هذا ، تدخل دول الخليج طرفا رئيسا في حرب الاستعارات التصورية ، فمثلا قطر على الرغم من أنها صغيرة في مساحتها ، وعدد سكانها ، فإنها فرضت وجودها في المشهد العربي و العالمي ، وأصبحت ذات تأثير ، ونفوذ في العالم بفضل قوتها الناعمة الإعلامية " قناة الجزيرة الإخبارية " التي روجت لاستعارات تصورية وهي " قطر ، الديمقراطية وحرية التعبير " و " قطر ، صوت الشارع العربي " ، وحاولت التسويق لاستعارة " قطر الجمال ، والحدثة و التطور " عبر قوتها الناعمة الأخرى " قنوات الرياضة **BeIN SPORTS** بعد استضافتها لكأس العرب ديسمبر 2021 ، وكأس العالم لكرة القدم 2022 الذي ستحاول استثماره لتتحول إلى مركز جذب ، واستقطاب لجميع الناس في كافة أنحاء العالم وقد نجحت في هذه الحرب الاستعارية بامتياز ، وذلك في تحقيق التأثير المطلوب عبر منافسة كأس العرب لكرة القدم حيث وجهت أنظار العالم إليها باستعراضها لملاعبها المتطورة ، وبنيتها التحتية الحديثة وقد نجحت فعلا في إحداث تغيير جذري في التصورات الذهنية للدول المتقدمة وأعطت وجهها مشرفا للدول العربية التي طالما ينظر إليها على أنها دول بدائية تنتمي إلى العالم الثالث المتخلف . كذلك لا يجب أن ننسى دولتي الإمارات والسعودية في سباق الاستعارات التصورية الناعمة فالأولى سعت عبر تصديرها لاستعارة " الإمارات ، الانفتاح و التطور ، والجمال و التعايش السلمي " إلى تشكيل صورة ذهنية إيجابية عنها في عقول الآخرين باعتبارها واجهة سياحية ساحرة بامتياز ، ودولة منفتحة على الآخر ، وملتقى الثقافات و الحضارات والديانات ، لاسيما بعد التطبيع مع الكيان الصهيوني الذي حاولت من خلاله الترويج لاستعارة تصورية " التطبيع سلام وأمن " أما الثانية وهي السعودية ، فسعت حثيثا في عهد " بن سلمان " ولي العهد أن تتحول هي الأخرى إلى مركز جذب للآخر ، وذلك عبر رؤية 2030 التي قدمها ولي العهد عام 2016 محاولا من خلالها تسويق استعارة " السعودية ، بلد الحدثة و الانفتاح و الحرية " من خلال إقامة المهرجانات الفنية والسينمائية وذلك لوعيتها أن الخطاب السينمائي يندرج ضمن الحرب الناعمة ، ذات الطاقة الحجاجية العالية ، وسينما هوليوود خير دليل على كلامنا هذا ؛ ففي هذا الشأن يرى " جاك شاهين " بروفيسور الإعلام في جامعة أليوني في أمريكا في حوار له على قناة الجزيرة ، أن هوليوود كوسيلة دعائية تقوم بغسل أدمغة الناس ، و جعلهم أكثر انسجاما ، وتقبلا لسياسات أمريكا ، فعندما "أمطرت هوليوود عقول الشعب الأمريكي بالأفلام ... وحتى برامج الأطفال المحقرة لليابانيين إلى درجة الشيطنة ، أصبح من المقبول إلقاء قنبلتين ذريتين على مدن يابانية تضج بالحياة"¹¹ ولاشك أن العرب المسلمين هم أكثر الناس تجرعا اليوم لسم هوليوود القاتل تحت استعارة تصورية " العرب و المسلمون ، وحوش وإرهابيون "، غير أن حجاجية الاستعارة الناعمة

ليست حكرًا فقط على الخطاب السينمائي ، وإنما نجدها كذلك تخترق الخطاب الأدبي و لاسيما الروائي منه ، و من هذا المنطلق تتبلور إشكالية هذا البحث : وهو كيف تجلت استعارة الحرب الناعمة التصويرية في الخطاب الروائي ؟، و كيف أسهمت في بناء طاقاته الحجاجية ؟ .

3-حجاجيّة استعارة الحرب الناعمة في رواية ليالي ايزيس كوبيا أنموذجاً :

أكد لايكوف في كتابه " الاستعارات التي نحيا بها " أنّ الحب " ليس تصوّرًا له بنية حدودها مرسومة بوضوح في تجربتنا ¹² ولهذا فإن تشكيل صورة واضحة عنه ، لا يكون إلا بتضافر جملة من الاستعارات التصويرية كاستعارة الرحلة ، واستعارة التجارة ، واستعارة الحرب التي تدخل في تشكيل شبكة التّعالقات الاستعارية لهذا المفهوم لتكون طرفاً رئيساً في معادلته الاستعارية وترتبط هذه الاستعارة بالكيفية التي يفهم بها الناس مفهوم الحب ؛ وهذا يعني أنّ هذا المفهوم ليس مفهوماً جامداً مبنوياً في المعاجم ، بل هو مفهوم نشط ، حيوي شديد الالتصاق بتجاربنا اليومية بعيد كل البعد عن ذلك الطّرح المعياري الموضوعي ؛ فالقاموس لا يتميز بالمرونة و الدينامية الكافية لتشكيل مفهوم واضح عن الحب ، بل يحصره في تحديد جاف لا ينسجم مع النّسق التّصوري للناس عن الحب ، وفي هذا الشأن يقول لايكوف " إذا بحثتم في قاموس كلمة " حبّ " مثلاً ستجدون مداخل تبثّر إلى العاطفة ، و الحنان و التقاني ، و الولع .إلا أنّه لا يشار مطلقاً إلى الكيفية التي يفهم بها الحب من خلال استعارات مثل : الحبّ سفر الحبّ جنون ، الحبّ حرب " ¹³ لكن ، قد يتساءل أحدهم مندهشاً ، كيف يمكن بنية الحب على أنّه حرب ؟ و كيف يجتمع المتناقضان في المفهوم ذاته ؟ كيف يمكن أن يكون الحبّ برومانسيته وعذوبته ، ونعومته ساحة للحرب بكل عنفها ووحشيتها ؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة تتطلب منا العودة إلى السياق النصي لرواية " ليالي ايزيس كوبيا " والنّظر في طبيعة العلاقة التي جمعت " مي زيادة " بآبن عمّها جوزيف التي وفقاً لهذه الاستعارة سيتم فيها تبثّر بعض السّمات ولتكن المظاهر السّلبية في الحب كالعدوانية ، و العنف وتغييب الأشياء الإيجابية كالود و التقاهم والرومانسية ...) . تتأسّس استعارة " الحب حرب " من تصوّراتنا ، وتجاربنا عن مجال الحرب ، واعتقاداتنا الشّخصية حوله ، وهو ما يمدنا بشبكة من الاقتضاءات الكثيرة ، منها : وجود عدو ، وضحيّة ، هجوم ودفاع عن النفس ، استراتيجيات الحرب ، مناورة ، تحالف هزيمة ، نصر ، هدنة ...إلخ . كان جوزيف ابن عم مي زيادة أول بذرة حبّ انغرست في قلبها ، لكن شاعت الأقدار أن يختار طريقه بعيداً عنها بعد أن فضّل امرأة فرنسية لتحقق له حلمه بدراسة الطبّ في فرنسا أما مي زيادة ، فبموت والديها فقدت الحنان و السّند ، وتحولت إلى فريسة مستباحة لأقاربها الذين عماهم الطمع ، والجشع ، وكانت القطرة التي أفاضت كأس معاناتها الذي كانت تتجرعه على مضض أن رُزئت بفقدان حبيبها الروحي ، وملهمها " جبران خليل

جبران " في غمرة أحزانها ، رأت مي في جوزيف منقذها الوحيد الذي كانت تثق فيه، فلقد كانت تظن أنه غيظها في محنتها ، وسلواها في مصيبتها ، وقبس موسى الذي أنس وحدته ، وبدد له وحشة الليل الحالك في صحراء سيناء الخالية الباردة ، غير أنه كان في الحقيقة سرايا لمي الضمآن حنانا ، ولم يكن الماء الذي يعيد لها طعم الحياة ، ويفتح لها أبواب الأمل التي غلقت في وجهها ، فجوزيف وإن لبس قناع المنقذ وأتى لينتشل مي زيادة من الهوة السحيقة التي هوت فيها ، وذلك بعد أن أرسلت له رسالة لينقذها فإنه وفي الحقيقة قادها إلى طريق الموت ، واستولى على جميع أموالها ، وجعلها تموت ببطء في حжим العصفورية تقول مي زيادة : " عاتبت نفسي بعنف ، ماذا كان يحدث لولا تلك الرسالة الملعونة ؟ قلبي خدعني عندما رأى في جوزيف أفضل شخص في العائلة قادر على حمايتي ، كان متحمسا ، وجميلا ، ويريد أن ينقذني من أوضاع كانت كل يوم تزداد سوءا ، حتى سفرتي بعد وفاة أمي لم تكن كافية لرتق جراحات متتالية ... كآبتي التي كانت قبلة موقوتة بدأ دخانها يصعد عاليا معلنا عن انفجار محتمل ، كثيرا ما سافرت لأضع حدا مع الخيالات التي تقهرني ، و أتخطى مسلك الكوابيس أحارب كآبتي التي أكد عليها الطبيب النفسي .. " 14 إذا تأملنا في هذا المقطع ، نجد أن استعارة الحرب التي تبينها ، يتحكم فيها " سيناريو الإنقاذ " الذي يتخذ الخطاطة التالية : الضحية / مي زيادة

و المنقذ / جوزيف و العدو / الكآبة و الهدف (المعلن) / إنساني (إنقاذ مي من كآبتها القاتلة) لاشك في أن هذا السيناريو يذكرنا بنظرية الحرب العادلة **Just war theory** للفيلسوف الأمريكي " مايكل وولتزر " **Michael Walzer** التي تحدّد عدالة الحروب من حيث شنها وإدارتها في ظل المنظومة الأخلاقية ، ووفق شروط العدالة¹⁵ . وإذا كانت الاستعارة التّشخيصية " الدولة / شخص " يتم فيها إسقاط سمات الشّخص على الدّولة في علاقاتها مع الدول الأخرى أوقات السلم و الحرب ، فإنه يمكننا استخلاص الخطاطة العامة للحرب العادلة على مستوى العلاقات الإنسانية كما يلي :

- يتعرّض الطرف س إلى هجوم واعتداء من ع فيتحوّل بذلك س إلى ضحية ، وع إلى معتد .
- عدم قدرة س على ردّ هذا العدوان وحده ، فيحتاج إلى طرف آخر ، وليكن ص
- يتدخّل ص لإنقاذ الطّرف س من ع ويحرره منه ، فيتحوّل بذلك ص إلى منقذ .
- للطرف المتدخّل ص أهداف معلنة (صريحة) في الغالب ذات طابع إنساني أخلاقي (مساعدة ، حماية إنقاذ ، تحرير) و أخرى غير معلنة تتعلق بمصالحه الشخصية ، وهو المنطق ذاته الذي يسود العلاقات الدّولية ، فمعظم الحروب العادلة التي شنتها الدول ، تخفي أهدافا أخرى غير معلن عنها وهي الأهداف الحقيقية للحرب التي يتم إخفاؤها تحت غطاء قانوني أخلاقي تبرر به الدّول عدوانها على الآخر ، فمثلا حروب أمريكا (حربا الخليج الأولى و الثانية ، الحرب على أفغانستان ، تدخلاتها العسكرية

في أفريقيا ، وفي الكثير من دول العالم ...) كلها شنت باسم الحرب العادلة أو كما يعرف في العلاقات الدولية بحق الدفاع المشروع ، وإعادة الأمل ، و الحرب على الإرهاب ، بعد أن قسّمت دول العالم إلى محورين رئيسيين محور الخير ومحور الشر وكما قال "بوش الابن" **George w .Bush** مقولته الشهيرة بعد هجمات سبتمبر 2001 بلغة مشحونة بالتهديد " من ليس معنا ، فهو ضدنا " غير أن الأهداف الحقيقية تتمثل في سعي أمريكا لتكريس هيمنتها السياسية ، و الاقتصادية ، والثقافية ، وتطبيق سياساتها التوسعية ، وكذلك الكيان الصهيوني يبرر عدوانه الغاشم على الشعب الفلسطيني بحق الدفاع المشروع عن النفس ، حتى الدول العربية طبقت استراتيجية الحرب العادلة ، فالسعودية تدخلت في اليمن سنة 2015 تحت مسمى عاصفة الحزم أو بغطاء أخلاقي عملية إعادة الأمل ، وحماية الشعب اليمني من شر الحوثيين بينما هدفها الحقيقي تكريس هيمنتها على دول المنطقة . وعطفا على ما قيل ، يمكننا إجراء تعديل في بنية خطاطة الحرب العادلة كما يلي :

- يتدخل الطرف ص لإنقاذ الضحية س كهدف معلن ، لكنه في الحقيقة يتدخل لتكريس أجندة خاصة به بعيدة كل البعد عن التبريرات الأخلاقية ، والإنسانية المصرح بها .
 - تتكبد الضحية س خسائر معتبرة جراء تدخل ص .
 - يتحول الطرف ص إلى معتد ، وليس منقذا ، وتزداد بذلك معاناة الضحية س أكثر فأكثر لأنها تصبح في مواجهة طرفين كما يلي :
- الضحية س

المعتدي 1 مباشر " ع " المعتدي 2 غير مباشر " ص "

وبإسقاط هذه الخطاطة على مجال العلاقات الإنسانية في روايتنا " ليالي إيزيس كوبا " وتحديد علاقة مي بابتن عمها جوزيف زيادة نحصل على المكونات التالية :

- 1- تنهار مي عصيبا بعد فقدانها لوالديها ، وحبيبها الروحي جبران ، وتكالب أقاربها على ممتلكاتها فتصاب بكآبة قاتلة
- 2 - تحاول مي مقاومة هذه الكآبة عبر السفر ، الكتابة ... لكنها تعجز في الأخير ، وتستسلم : "سافرت لكن شيئا .. كان يمنعني .. دائما من الفرح .. عدت إلى مصر .. لا شيء يجبر كسور القلب أمام الموت .. المرض لم يترك فرصا كثيرة ، حاولت التفاؤل .. لم ينفع أدركت أن مشكلتي في دمي .. عدت إلى مصر مرهقة ، فاستسلمت لأحزاني ، وكآبتي رفعت الراية البيضاء " ¹⁶
- 3- تستنجد الضحية " مي " بجوزيف لإنقاذها من المحنة التي ألمت بها عبر رسالة : " أصبحت في حاجة إلى من يقف بجانبني ، ويمنحني فرصة التماسك ، وكان هو ذلك الهو الذي أخطأت فيه ¹⁷
- 4- تدخل جوزيف لإنقاذ " مي " والتخفيف عن مصابها الجلل كهدف إنساني و أخلاقي معلن عنه ،

لكنّه في الحقيقة كان يريد الاستيلاء على أملاكها و ثروتها ، فيتحوّل بذلك جوزيف من منقذ إلى قاتل ثانٍ للضحية " مي " التي تقول : " طلبت من جوزيف أن ينقذني ، لا أن يقتلني قتلتي حقيقة " ¹⁸ .

" جاءني من بيروت لأني احتجته ، وليخفف علي مصيبتني التي أنهكتني ، أن تفقد دفعة واحدة ثلاثة منك مصيبة . في الحقيقة هرع ليستكشف أعمالي ، وأموالي ، وأمكنتهما . ويقف على سرائر مصالحي .. وعقاراتي . زيارته كانت مؤسسة على كيفية الاستيلاء على كل شيء في حياتي " ¹⁹

5- استنجد مي بجوزيف يجعلها تتكبّد خسائر مضاعفة :

- الاستيلاء على جميع أموالها ، وممتلكاتها و - الطعن في سلامتها العقلية ، والحجر عليها - والرجح بها قسرا في مستشفى العصفورية . فتغرق مي في العزلة و الوحدة و الكآبة أكثر فأكثر ، وتعاني صنوف العذاب في جحيم العصفورية لدرجة أنها باتت تتمنى الموت للخلاص من هذا الألم . يتّضح لنا مما سبق ، أنّ حرب جوزيف على مي حرب غير عادلة ، وهو ما يقودنا إلى إقامة مشابهة تصويرية بين هذه الحرب ، والحروب العادلة على مستوى العلاقات الدولية ، وذلك استنادا إلى الاستعارة التشخيصية " الدولة / شخص .

3- استراتيجية الحرب العادلة بين استعارة القوة الناعمة و المواجهة المباشرة : لاشك في أن لكل شخص منا في هذه الحياة هدفا يطمح إلى الوصول إليه ، وحتى يحقق ذلك فإنه يقوم بالتخطيط على المدى القريب و البعيد ، وذلك بالنظر إلى ما توافر لديه من إمكانيات وقدرات ، واعتمادا على النسق التصوري الاستعاري " الدولة / شخص فللدول هي الأخرى استراتيجيات تتبعها في سياساتها الخارجية لتحقيق بها أهدافها المسطرة وانسجاما مع استعارة " الحب ، حرب " ، سنسعى إلى تتبع أهم الاستراتيجيات التي اتبعتها جوزيف في حربه على مي زيادة ، محاولين في خضم ذلك إجراء عملية إسقاط لهذه الاستراتيجيات على الدولة ، ولتكن في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية نموذجا بارزا للدول التي تعترف على أوتار الحرب العادلة في سياساتها الخارجية ، فقد سوّغت هذه الدولة حروبها واستراتيجياتها وفقا لمعيار أخلاقي إنساني ، و الأمر سواء بالنسبة للعلاقات الإنسانية ، وهو ما سنحاول الكشف عنه من خلال الخطاطة التالية لاستعارة الدولة / شخص التي ستم فيها عملية الإسقاط التصوري بين المجال المصدر لاستعارة الحرب العادلة ، وتمثله أمريكا في علاقاتها مع الدول الأخرى والمجال الهدف الذي يمثله جوزيف في علاقته بمي زيادة .

المجال المصدر أمريكا في علاقاتها بالعراق المجال الهدف : جوزيف في علاقته بمي زيادة

أطراف العلاقة البطل / المنقذ أمريكا البطل المنقذ / جوزيف زيادة

الضحية / الشعب العراقي الضحية / مي زيادة

المعتدي / الشرير صدام المعتدي / الشرير الكآبة
الأهداف المعلنة إنقاذ الشعب من صدام إنقاذ مي من الكآبة القاتلة
الأهداف الخفية نهب ثروات العراق الاستيلاء على ممتلكات مي و ثروتها

- استراتيجية الحرب العادلة في رواية "ليالي إيزيس كوبا":

اتّبع جوزيف في حربه على "مي" خطّتين أساسيتين:

- **الخطّة الأولى:** حاول فيها استدراجها من مصر إلى لبنان عبر خطاب رومانسي ناعم يفيض عاطفة ، وحبا ظاهره دوافع إنسانية ، وباطنه مطامع شخصية .

- **الخطّة الثانية:** أظهر فيها وجهه الحقيقي لمي ، فعاملها بعنف ، ووحشية ، واستخدم معها كل وسائل الغضب ، والإكراه انتهت بالزج بها قسرا في العصفورية .

وبالنظر إلى نسق الاستعارة التشخيصية "الدولة / شخص" التي تبين استعارة الحرب العادلة ، وتتحكم في بنيتها الكلية ، وبإسقاط بعض سمات الشخص ، وتصرفاته على الدولة بتفاعلاتها ، وممارساتها مع الدول الأخرى ، نجد أن هناك تناسبا تصوّريا بين الخطّتين اللتين اعتمدهما جوزيف وبين إستراتيجيتين أساسيتين في مجال العلاقات الدولية و السياسات الخارجية :

إستراتيجية القوة الناعمة : Soft Power Strategy وإستراتيجية القوة الصلبة : Hard

Power strateg ، وفيما يلي ، سنفصل القول في كل إستراتيجية على حدة ، مراعية السّياق الروائي

4-1 **إستراتيجية القوة الناعمة :** يعرف جوزيف ناي **Josef Nye** القوة الناعمة على أنها " القدرة

على الحصول على ما يريد عن طريق الجاذبية بدلا من الإغرام ، أو دفع الأموال ²⁰ وقد استقطبت هذه

الاستراتيجية العديد من الدّول ، لاسيما بعد أن أثبتت حرب الخليج الأخيرة " أن الإقناع بصورة ناعمة

أكثر فاعلية من الإقناع بصورة صلبة " ²¹ ؛ لأنّ هذه الحرب العسكرية كبّدت أمريكا خسائر فادحة .

تعدّدت مصادر القوة الناعمة ، و مواردها ، حيث " تلعب الثقافة و القيم ، والمعتقدات ، و المصالح

المشتركة دورا أساسيا في رفع رصيد القوة الناعمة لدى دولة ما " ²² فتقافات الدّول بفنونها ، وأفلامها

و موسيقاها ، و آدابها الشّعبية ، خزّان لا ينضب من القوى الناعمة التي لها دور لا يستهان به في

اجتذاب الآخرين ، وجلب التأييد والشرعية لسياساتها الخارجية في حربها ، وسلمها على السواء .

لقد كان جوزيف مدركا لأهمّية القوة الناعمة ، ودورها في التأثير على مي ، واجتذابها من مصر إلى

لبنان ، وجعلها تنقاد له ، وتدّعن لمطالبه ، وبما أنّ القوة الناعمة " ترتبط بالسّياق المحيط في تحويلها

إلى مخرجات ، ونتائج " إيجابية ، فإن جوزيف استثمر هذا العنصر وكان واعيا بحاجة مي الماسة إلى

سند يقف إلى جانبها في محنتها الشديدة : " قال لي وهو في كامل تأثره ، إنّ وضعي يحتاج إلى اهتمام

حقيقي ، واستراحة بين الأهل . لا يوجد أثنى من الأهل في ظروف الوحدة ، والمرض ، تغيير الهواء في لبنان أكثر من ضرورة ، والمكوث لمدة أسبوع هناك سينقذني ، ويقلل من قلقي الدائم ²³ . لقد فقدت مي أعز ما لديها ، أمها ، وأباها الحائط الذي تستند إليه ليقبها شر نواذب الدهر و نواكبه ، وظلّت وحيدة لا أنيس لها و لا جليس تتجرع مرارة الوحدة و العزلة ، نقاط ضعف استثمارها جوزيف ، وحاول عبر استعارة "الأهل / بضاعة ثمينة أو مورد تجاري ثمين " ممارسة قوته الناعمة عليها ، وجعلها تدعن له ولم تفتقد مي الأهل فقط ، بل افتقدت الحبيب الحقيقي الذي ينير ظلمات قلبها المعذب ويجعله يدق من جديد ، ليفتح أمامها باب الأمل الذي أوصد بأغلال الدهر الحديدية : " حبيبتي ... أمامنا كل الحياة ، الآن يجب أن ترتاحي ... آمنت به ، وبجمله الهادئة المليئة حنانا تمتمت وأنا أحضنه بكل قواي ... جوزيف خائفة قال لي تخافين من العودة إلى بيتك ، وأهلك .. ما تزال على شفتي تلك القبلّة الفرنسية الطويلة التي تشبه قبل الأفلام لكنها منحتني السكينة و الهدوء " ²⁴

هكذا مارست كلمات جوزيف (حبيبتي ، أمامنا كل الحياة) تأثيرها السّاحر في " مي " ، وجعلتها خاضعة ومنقادة له انقيادا (آمنت به ، وبجمله الهادئة) وكانت قبلّة جوزيف الفرنسية قوّة ناعمة كافية لمنح الهدوء ، و السكينة لمي ، وجعلها تنام مغناطيسيا ، لتصبح فريسة سهلة في يده يفعل بها ما يريد . و إذا كانت القوّة الناعمة كما يرى الباحثون في هذا المجال تحتاج إلى عنصرين :

المستقبل وتكون لديه قابلية لتقبل موارد الدولة و الموارد الناعمة الموجودة لدى الدولة و هذان العنصران نجدهما حاضرين في حرب جوزيف الناعمة على مي ، فهي كمستقبله لخطاب جوزيف الناعم ، لديها قابلية لتقبل كلامه الساحر (موارده الناعمة) و الانسياق وراء خطابه الرومانسي المثخن بالحنان و العاطفة : " آمنت به ، وبجمله الهادئة .. فقد كنت بحاجة إلى أية كذبة تمنحني فرصة الالتصاق به و بالحياة " ²⁵ أمّا عن الشرط الثاني المتعلق بالقوّة الناعمة ، فنجدّه متوافرا كذلك لدى جوزيف ، وهو ما جعله لا يتبع معها مبدأ العصا و الجزر القائم على العنف ، والإرغام ، و القسر ، وإنما استثمار موارده الناعمة وحاول خلق نوع من كيمياء الجاذبية الغامضة بينهما لإقناعها بما يشاء .

" بعثت له برسالة نجدة فقد كان جوزيف الأقرب إلى قلبي ، دخل علي .. ضمّني إلى صدره وكم كنت في حاجة ماسة إلى دفئه ، وفرنسيته الأنيقة ، له قوة جاذبية لا يمكن لأية امرأة أن تقاوما ، قال لي الكل ينتظرك في بيروت ، ضيعتك تنتظرك... أنت متعبة يجب أن ترتاحي ، لا يمكن لأهل زيادة أن يتخلوا عن ابنتهم .. قلت له بلا خجل ، ولا حساب لردة فعله : الذين تعودوا على انتظاري ماتوا .. " ²⁶

لا شك في أن مي في هذا المقطع ، كمستقبل لها قابلية لتقبل موارد جوزيف الناعمة ، وقولها : " كم كنت في حاجة ماسة إلى دفئه " يؤكد ذلك . و تمثل الكلمات المسطر تحتها في المقطع الموارد الناعمة التي

وظفها جوزيف للتأثير في مي ومنها : ثقة مي الكبيرة فيه جعلها تستجد به عبر رسالة و اللعب على وتر العواطف ، والحب و العزف على الوتر الحساس لدى مي وهو العائلة ، السند ، الذي تفتقده ، حيث خلق لها معادلة أخرى حاول احتواءها فيها متوسلا بالاستعارة التشخيصية " ضيقتك تنتظرك تحقيق ذلك كما حاول استمالة مي عبر العنصر الثقافي ، وهو اللغة الفرنسية الأنيقة التي جعلت مي تتجذب إليه أكثر فأكثر . غير أن هذه الموارد الناعمة ، كان تأثيرها مؤقتا ، فمي سرعان ما حاولت صدها عبر حرب لفظية صلبة ، مشحونة بشيء من التجريح تشكك فيها بمصداقية جوزيف في كلامه .

وهنا يتضح لنا أن الموارد الناعمة لدى شخص ما ، لا تكفي لتحقيق التأثير المطلوب ، إذا لم تكن مقترنة بقدرة هذا الشخص ، وبراعته في تسيير هذه الموارد ، و التصرف فيها ، فنجاعة القوة الناعمة لا تعتمد على " ما تملكه الدول من مصادر ، ولكن في قدرة الدولة ذاتها في السيطرة على تصرفات الآخرين ، واتجاهاتهم بما يخدم مصالحها " ²⁷ ، وهو ما لمسناه في ردة فعل جوزيف على تجريح مي له ولعائلته فلم يضغط عليها ، ويكرهها على ما يريد بل مارس معها سياسة النفس الطويل في حربه الناعمة معها إذ إنه راح يعزف على أوتار حسها الرومانسي المرهف ، و انجذابها له وضعفها أمامه ، وحولها إلى فريسة منقاد له انقيادا كبيرا وكانت ردة فعله كما تحكيها مي : كان أنيقا كعادته ، أخذني من يدي ، وسحبني نحوه كمن يتدرب على رقصة تانغو ، شعرت بضغف ما يسري في كل مفاصلي تساءلت هل ضيقت البوصلة يا مي ؟ بالكاد أنطق الكلمات متعبة يا جوزيف حبيبي وقعت لك على ما اشتهيت من التوكيلات ، ووضعت كلي بين يديك متعبة .. و لا أملك أية قوة فجأة تحولت إلى ظل أبيض مثل غيمة تسيير بعمى في أثر جوزيف " ²⁸

هكذا كانت الثقافة ، والأناقة ، و الرومانسية ، والحب و السند المفقود أسلحة جوزيف الناعمة للإطاحة بمي وجعلها تدعن له فالقوة " الناعمة أكثر من مجرد الإقناع ، أو القدرة على استمالة الناس بالحجة بل هي القدرة على الجذب ، والجذب كثيرا ما يؤدي إلى الإذعان " ²⁹ وما كان للقوة الناعمة أن تؤتي أكلها ، ما لم يكن هناك قدر مشترك من الثقافة بين جوزيف و مي كالثقافة الفرنسية و الرومانسية و الأناقة : " جوزيف كان بلباسه الرسمي الأنيق ، الطاقم الكحلي الذي اشتبهته دائما عليه " ³⁰ .

و هذا المشترك ذو أهمية كذلك على مستوى العلاقات الدولية ، فوجود " مشترك ثقافي بين الدولة المرسل ، و الدولة المستقبل " ³⁰ يخلق نجاعة في القوة الناعمة ، إذ يتحول إلى مغناطيس جذب للآخر ، وجوزيف كان واعيا جدا لهذا الأمر ، ولهذا فقد وظفه كقوة ناعمة بصورة أخرى في شخصية البروفيسور " مارتين " مدير العصفورية الذي جاء به للزج بمي في مستشفى العصفورية لكنه قدمه لها متكررا في شخصية مستشرق انجليزي ، أنيق ، ومثقف وموسوعة في الشعر الانجليزي ليجذبها إليه ؛ لأنها تقاسمه

الخصائص ذاتها ، فهي عُرِفَتْ بأنافتها ، وثقافتها الموسوعية ، و ولعها بالأدب الإنجليزي: " أول ما وصلت أحضروا لي طبيب الأمراض العصبية ، وهو مدير العصفورية بشكل متكرر طبعا و قالوا : مستشرق انجليزي البروفيسور مارتين في المؤثرات الانجليزية على الشعر العربي ... يمكنك التحدث معه في كل الموضوعات الثقافية التي تشغلك ... كان البروفيسور أنيقا ، ومتقفا بامتياز ، موسوعة حقيقية في الشعر الانجليزي .. ارتحت لمارتين ، مما أبعدني قليلا عن نوبات الكآبة التي كانت تنتابني وظل يكرر زيارته " ³² غير أن مي زيادة ، كشفت اللعبة ، وفكت خيوط المؤامرة ، ولم تتقبل فكرة الزج بها في العصفورية ، ما أجبر جوزيف على الانتقال إلى الحرب الصلبة .

4-2- استراتيجيّة الحرب الصلبة / المواجهة المباشرة : على عكس القوة الناعمة ، فالقوة الصلبة لدى الدول " تمثل لديهم القدرة على الإكراه والإقناع و الجذب ، أما عن مصادرها ، فللقوة الصلبة مصادر مادية كالقوة العسكرية ، و المال ، و بالعودة إلى روايتنا فقد دامت حرب جوزيف الناعمة مع مي مدة شهرين ، ونصف ، حاول خلالها استكشاف أملاكها وحساباتها ، واستنفذ معها جميع موارده الناعمة من رقة وعاطفة ، وحب مزيف ، غير أنّ هذه الحرب لم تدم طويلا لاسيما بعد أن حقق جوزيف جميع مآربه ، وذلك بالاستيلاء على جميع أملاكها ، ليبدأ فصل جديد من الحرب ، مارس خلالها جوزيف قوته الصلبة للضغط على مي وإجبارها على دخول العصفورية ليتحول بذلك جوزيف المنقذ إلى العدو الحقيقي لمي زيادة : " أبقاني عنده شهرين على مضض و أنا أطلبه بالعودة حتى استكمل برنامجه في أمري أرسلني إلى العصفورية " ³⁴ لقد بدأت المواجهة المباشرة بين مي وجوزيف ، عندما اكتشفت أن البروفيسور " مارتين " هو مدير العصفورية : " عندما عاد جوزيف بدأت أدور حوله .. مثل الموجة العاصفة رمتني على سكينه الخبز . و حاولت أن أغرسها في رقبته ، لكن الرأس الدائري للسكين منحه حياة أخرى ، إذ تمكن من لوي يدي وراء ظهري ، وأنا أصرخ بأعلى صوتي ³⁵ " التفتت بسرعة نحو محيطي . أتفحص أسلحتي المتوفرة ... حاولت أن أغلق الباب أصبحت مساحة مستباحة جلست تحت الطاولة .. والكرسي بدأت أصرخ بأعلى صوتي أنقذوني " ³⁶ في هذه الأثناء حاول جوزيف الدخول في هدنة قصيرة بتوظيف القوة الناعمة مجددا ، غير أن ردة فعل مي كانت أكثر عنفا : " مي حبيبتني تعرفين أنني إحبك ، وكلنا بهذا البيت نحبك .. افتحي يا قلبي نحن ما نحب لك إلا الخير يا روجي.....انت أكثر إجراما " ³⁷ . لتعلن بذلك عن بداية حرب صلبة دموية بينها وبين جوزيف : " ثم اندفعوا كلهم ... فدخلوا .. الغرفة كنت تحت الطاولة .. جوزيف جرجرني من رجلي بيدين فولاذيتين فقدتا كل نعومة ، هل هو نفسه الكائن الذي احتضن وجهي يوشوشني في أذني : حبيبة قلبي أنا هنا معك حتى آخر العمر .. عندما أخذ حقيبة سفري المثقلة بالخبيبة و الخوف و الاستسلام له .. وهو يدفعني ، دفعت الطاولة نحو رأسه بكل عنف ، فأدميت خذه الأيسر وجبهته ...

مسح جوزيف دم جبهته أصبحت عيناه حمراوين كعيني قاتل .. زاد هياجه كثور جريح ، حمل مزهرية وهو يغلي .. اليوم راح أقتلك يا مجنونة ... ضربني جوزيف على رأسي ، وجرتني من شعري ، ورماني بين يدي الطبيب .. كتفني طبيب العصفورية كشاة مدة للنحر بمساعدة جوزيف ، رأيت الحيوان الذي كان مخفيا فيه ، انسحب جوزيف الطبيب الرشيق وحل محله حيوان خرافي ، استسلمت للأرضية الباردة . شعرت .. كأنه كان يغتصبي ... أصرخ في النهاية استسلمت لهم³⁸ هكذا أسقطت استعارة الحرب العادلة في صورتها الصلبة صورة جوزيف الجميلة في عيني مي زيادة وكشفت حقيقته ، ومدى وحشيته ، كما أثبتت تهافت خطابه الرومانسي ، الحداثي الزائف الذي اتخذه قناعا له ليتمكن من تحقيق أجنده الخاصة . فجوزيف المثقف ، الأنيق ، الناعم ، ما هو إلا حيوان مفترس متوحش ، شرس عديم الإحساس ، وقد أسهمت الاستعارة التصويرية الرئيسة (الإنسان ، حيوان) في تأكيد هذا المعنى ، وذلك عبر استعارتين فرعيتين (جوزيف ، حيوان خرافي) ، و (جوزيف ، ثور هائج) فقد أظهرتا هاتان الاستعارتان للإنسانيته ، وهمجيته مع كيان ضعيف كل ذنبه ، أنه وثق فيه و استنجد به لينتشلته من مستنقع الألم الذي غرق فيه و لا شك في أن جوزيف انهزم أمام اختبار الحداثة الذي اجتازه ، وتصرفه الوحشي مع مي خير دليل على ذلك ، فخطابه الرومانسي لم يكن سوى مخدر سعى من خلاله إلى تخدير الضحية " مي " وإضعافها من الداخل ، حتى تكون فريسة سهلة يرمي بها بين أنياب العصفورية التي لم تبق فيها ولم تذر . وبناء على ما توافر لدينا من معطيات ، ومخرجات حول استراتيجتي القوة الناعمة و الصلبة يمكننا تكملة عمليات الإسقاط التصوري لاستعارة الحرب العادلة وفق الخطاطة التالية :

منوال استراتيجية الحرب :

المجال المصدر- اتبعت أمريكا في سياستها الخارجية وحروبها إستراتيجية القوة الناعمة تارة بفضل مواردها الناعمة المتمثلة في ثقافتها الشعبية كأفلام هوليوود و برامجها التلفزيونية و اجتذابها للمهاجرين وقيمها (ديمقراطية حقوق الإنسان ، حرية الرأي) . كما وظفت القوة الصلبة تارة أخرى أو القوة العسكرية في حروبها ضد دول " محور الشر "

المجال الهدف : لجأ جوزيف في حربه إلى كل الأسلحة المتوافرة لديه ناعمة كانت أو صلبة ، عاملا بذلك بالمبدأ المشهور " كل شيء مباح في الحب والحرب وفي الجدول سنكمل بقية المناويل المعرفية :

المجال المصدر	المجال الهدف	المناويل
---------------	--------------	----------

جعلت القوة الناعمة جوزيف يعزز ثقة مي فيه ، ويكسب حبها ، ويملك قلبها غير أن عنفه ، و وحشيته تجاهها جعله يخسر كل شيء ويؤلب الرأي العام ضده - جوزيف الذي كان يزعم أنه أتى لينقذ مي من النصابين ، عبر سياسة التشكيك في كل من حولها، ويوفر لها الراحة والاستقرار ، والعيش الهادئ بين أحضان أسرت إلا وحش بشري مغتصب ، قاتل. - ظلم جوزيف لمي ، وإجرامه معها جعلها تحس بالعدمية ، واللاجدوى ، وتعاني صراعا وجوديا وتمزقا داخليا: "هويتي ممزقة .. كل ليلة أملكها ، و أرقعها فيأتي صباحا من يفرطها بكلمة واحدة ، بحركة ، ها البيروتية ، غير أنه في الحقيقة ما هو ويسحب كل خيوطها ، ويجولها إلى كومة في فوضى بلا شكل ولا هوية .³⁹ - جوزيف وعائلته زعموا أن دخول مي للعصفورية سينقذ حياتها ، ويوفر لها الاستقرار والهدوء ، لكنهم في الحقيقة رموها بين أنياب الموت تحتضر على مهل في جحيم العصفورية : " بحجة التغذية و باسم الحياة ، ألقاني أولئك الأقارب في دار المجانين أحتضر على مهل ، وأموت شيئا فشيئا كحشرة. كان أقاربي في زيارتهم النادرة لي يستمعون إلي بسرور ، وأنا أصف نكالي وشقائي ، راجية منهم عبثا أن يرحموني، ويخرجوني من العصفورية . مللت من جملهم المكرورة ، هي جملة جوزيف يوم زج بي إلى العصفورية " كله من أجل مصلحتك "⁴⁰ - مي زيادة الكاتبة التي كرسَتْ حياتها للقضايا الفكرية والاجتماعية الكبرى كتحرير المرأة باتت مقيدة في العصفورية تضاءلت أحلامها، فراحت تحلم بان تحصل على قلم ، وورقة للكتابة كتابة " طلي لم يكن خارقا ، فقط شوية أوراق وقلم رصاص منعت منها كتبت على باكيت سجائر "⁴¹ تدخل جوزيف جاء بدافع إنساني في ظاهره ، و بطلب من الضحية مي زيادة ذاتها ، وكانت الرسالة التي بعثتها له بمثابة السند القانوني لهذا التدخل ، وقد استخدم هذه الرسالة دليلا ماديا في حربه ضدها " كله بطلب منك نسييت الرسالة "⁴²	تأثير الحرب ونتائجها - وعدت الشعوب التي غزتها بالأمن و السلم وإرساء العدل وإحقاق الحق والاستقرار لكن هذه الشعوب لم تحصد منها غير الشوك والدمار، كما أدى الغزو الأمريكي للعراق إلى تمزيق البلاد ومسح وإخراجها من سياق التاريخ و الزج بها في أتون صراعات طائفية لا نهاية لها وتحويلها إلى ملل ونحل .ومن مفارقات حروب أمريكا أنها جاءت لنشر الحرية و الديمقراطية ، وتنقذ العراق من الاستبداد لكنها لم تسبب سوى الدمار والموت ، ما جعل العراقيين يحنون لأيام صدام -الشعب العراقي كان يأمل في العيش الكريم تحت راية العدالة ، والحرية لكنه بعد التحرير الكاذب تقلصت أحلامه وفقد حريته وسيادته و بات يعلم برغيف خبز أما عن منوال السند الشرعي للتدخل ، هو إنساني ، وأخلاقي كما تقدم أمريكا نفسها على أنها شرطي العالم ومفوضة من الله لحماية البشرية من قوى الشر وقد تتدخل بطلب من الضحية كحرب الخليج
---	---

خاتمة :

- لقد أثبتت الوظيفة الحجاجية للاستعارة التصويرية ، مدى خطورة الاستعارة ، وهو ما انتبه إليه لايكوف لاسيما بعد أن لاحظ التأثير الخطير لاستعارة الحرب التي أطلقتها أمريكا و أسست دعائمها على خصائص الحكاية الخرافية ، وغيرت بها ميزان القوة في العالم ؛ فلاستعارة الحرب كفاءة حجاجية عالية ؛ فهي أكثر المجالات حضورا في التصور الذهني الاستعاري المشكّل للتجارب الإنسانية كما أن لها قوة نافذة في تشكيل تصورات الرأي العام ، وقناعاته ، سواء بطابعها الصّدامي الصلب ، أو بطابعها التّعاوني الناعم الذي تعمل فيه القيم ، والمبادئ الأساسية عمل الدّعائم الحجاجية ، و إذا كانت الفنون ، والآداب من موارد القوة الناعمة الرئيسة ، فإننا يمكننا عدّ الرّواية قوّة ناعمة في يدّ الروائي تتأسس على استعارة تصوّرية كبرى يتشكّل فيها المجال المصدر ، وينبثق من عالم الرّواية النصّي المصغّر بشخصياتها ، وأحداثها ، أمّا المجال الهدف فيمثله الواقع الذي ترمز إليه هذه الشخصيات ، أو هو الكلام المسكوت عنه التّأوي في البنية العميقة للرّواية الذي يحاول الروائي نقله لنا . فمي زيادة المرأة الضّعيفة التي تعيش صراعا كبيرا في مواجهة مجتمع ذكوريّ ظالم ممثلا في شخصية جوزيف الذي حاول بخطابه الحداثي الناعم وأد طموحاتها ترمز بكلّ بساطة للشّعوب العربية المستضعفة التي تصارع أنظمة استبدادية تحاول بشتى الوسائل الثّورة ضدها ، و والعيش بكرامة ، من هنا فقد سعى الروائي بوساطة استعارة الحرب الناعمة لإقناع الشّعوب العربية بالآ تنخدع بالخطاب الغربي الحداثي الناعم كما انخدعت مي زيادة ، وألّا تنجرف وراء وعود كاذبة بالحرية ، والديمقراطية ، لأنّها لن تحصد منها غير المعاناة و الدّمار وهو ما حدث ، وما يزال يحدث في كثير من الدّول العربيّة ، إنّها الحادثة المعطوبة كما وصفها الروائي .

- إنّ الاستعارات القتالة التي تحدّث عنها لايكوف في كتابه " الاستعارات التي تقتل " هي في بنيتها العميقة استعارات ناعمة مشحونة بطاقة حجاجية عالية كافية لإحداث التأثير و الجذب ، والإغراء والغواية ، وهذه الطّاقة تتأسس دعائمها الحجاجية على خطاب إنساني قيمي أخلاقي .

المراجع :

- 1- عبد الله الخراسي. (2002). دراسات في الاستعارة المفهومية (الإصدار 1). مؤسسة عمان للصحافة والأبناء و النشر. ص1
- 2- جونسون جورج لايكوف مارك. (2009). الاستعارات التي نحيا بها. (ترعبد المجيد جحفة،) الدار البيضاء: دار توبقال للنشر ص17-18
- 3- لينا سيمينو. (2013) الاستعارة في الخطاب. (تر عماد عبد اللطيف و خالد توفيق،) القاهرة: المركز القومي للترجمة ص 197
- 4- بن دحمان عمر. (2015). نظرية الاستعارة التّصورية و الخطاب الأدبي. المغرب: المركز الثقافي العربي

ص 128

- 5 - خطابي محمد. (1981). *لسانيات النص*. الرباط: المركز الثقافي. ، ص 51 .
- 6 -، إيكو 2005 . السيميائية و فلسفة اللغة ، الصمعي . أ المترجمون بيروت : المنظمة العربية للترجمة ص 463
- 7- الاستعارات التي نحيا بها ، ص 160
- 8- سيمينو الينا ، الاستعارة في الخطاب ، ص 208 .
- 9- الزماني كمال. (2012). *حاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي*. عالم الكتب الحديث.
- ص 192
- 10- المرجع نفسه ، ص 195 .
- 11 - شاهين جاك 26 ديسمبر 2005 العرب السيئون...كيف تشوه هوليود شعبا ؟ خالد الحروب .. المحاور
- 12 - الاستعارات التي نحيا بها ، ص 22 . .
- 13- م ن ص ن .
- 14 - الأعرج واسيني. (2018). *ليالي إيزيس كوبا ، ثلاثئة ليلة وليلة في جحيم العصفورية*. دار أجيال ، ص 144 .
- 15- الشريف حمدي. (2016). *نظرية الحرب العادلة بين اليوتوبيا و الأيديولوجيا*. مؤمنون بلا حدود. ص2
- 16- الرواية ، ص 71 .
- 17- الرواية ، ص 72 .
- 18- الرواية ، ص 175 .
- 19- الرواية ، ص 62
- 20- س ناي جوزيف (2007). *القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية*. (محمد توفيق البجيرمي، دار العبيكان ص26.
- 21- المرجع نفسه ص160
- 22- سماح الحي عبد الصبور. (2014). *القوة الذكية في السياسة الخارجية*. دار النشر للثقافة و العلوم ص50 .
- 23- الرواية ، ص 46 .
- 24 - الرواية ، ص 47
- 25- الرواية ، ص 45.
- 26- الرواية ، ص 44.
- 27- القوة الذكية في السياسة الخارجية ، ص 45 .
- 28- الرواية ، ص 61
- 29- القوة الناعمة ص 26.

- 30- الرواية ، ص 50
31- القوة الذكية ، ص 50
32- الرواية ، ص 47
33- القوة الناعمة ص 55
34- الرواية ص 44
35- الرواية ص 48
36- الرواية ص 50
37- الرواية ص ن
38- الرواية ص 51
39- الرواية 37
40- الرواية ص ن
41- الرواية ص 39
42- الرواية ، ص 40

قائمة المراجع

- الأعرج واسيني. (2018). ليالي إيزيس كوبا ، ثلاثمئة ليلة وليلة في جحيم العصفورية. دار أجيال .
الزمانى كمال. (2012). حجابية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي. عالم الكتب الحديث.
الشريف حمدي. (2016). نظرية الحرب العادلة بين اليوتوبيا و الأيديولوجيا. مؤمنون بلا حدود.
إيكو 2005 . السيميائية و فلسفة اللغة. الصمعي . أ المترجمون بيروت : المنظمة العربية للترجمة
إيلينا سيمينو. (2013) الاستعارة في الخطاب. (تر عماد عبد اللطيف وخالد توفيق)، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
بن دحمان عمر. (2015). نظرية الاستعارة التصورية و الخطاب الأدبي. المغرب: المركز الثقافي العربي.
جونسون جورج لاكوف مارك. (2009). الاستعارات التي نحيا بها. (تر عبد المجيد جحفة،) الدار البيضاء:
دار توبقال للنشر
خطابي محمد. (1981). لسانيات النص. الرباط: المركز الثقافي.
سماح الحي عبد الصبور. (2014). القوة الذكية في السياسة الخارجية. دار النشر للثقافة و العلوم
س ناي جوزيف (2007). القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية. (محمد توفيق البجيرمي، دار العبيكان
شاهين جاك. (26 ديسمبر، 2005). العرب السيئون ... كيف تشوه هوليود شعبا ؟ (خالد الحروب، المحاور